الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط
التاريخ : ٦ يونية ٢٠٠٠

بشار الأسد أمام المؤسسات الثلاث: الجيش، الحزب، الفساد

تولى تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية في عام 1940 ليقود بلاده في اكبر حروب التاريخ وهو في السادسة والستين. وعاد ديغول الى حكم فرنسا وهو في الثامنة والستين.

العمر ليس عقبة في طريق السياسة وتحمل المسؤولية كما يظن خطأ ووهماً بعض السوريين وهم يرون الطبقة الحاكمة تزحف بسرعة نحو السبعين. انما العمر يجب ان لا يكون عقبة في طريق الأجيال الجديدة التائقة للتغيير في سورية.

والمشكلة في هذا البلد ان العمر لم ينضج التجربة. والطرافة ان المعارضة الرئيسية للنظام اليوم تأتي من داخله، من المعمرين الذين جلسوا في الحكم نحو ثلاثين سنة او اكثر، ولم تهيئهم حكمة العمر لمواكبة أفكار العصر وتقبل التغيير.

ولعل الرئيس الاسد في حيرة بين وفائه المعروف للرفاق القدامى من «الحرس القديم» في الجيش والحزب، ورغبته في التجاوب مع جيل نجله بشار الذي يرى ان استمرار النظام بات رهنا لتجديد طبقته ورجاله واسلوب ممارسة الحكم والتعامل مع الآخرين خارجه، حتى بمن فيهم الذين يعارضونه.

وطالما ان بشار حافظ الاسد مرشح لقيادة بلاده في الربع الاول من القرن الجديد، فيتعين عليه اختراق ثلاث مؤسسات في سورية. وهي بالتحديد المؤسسة العسكرية، والمؤسسة الحزبية، ومؤسسة الفساد.

وكما في مصر والعراق وليبيا والجزائر، حيث هشاشة المؤسسات الدستورية والديمقراطية، كذلك في سورية حيث تبقى المؤسسة العسكرية وملاحقها الأمنية، بنسيجها العضوي وهياكلها البنيوية، القاعدة الحامية والحارسة للنظام.

ومنذ ان انتزع الرئيس الاسد نجله الثاني بشار من بيئته الطبية والعلمية ليحل في مساعدته محل شقيقه الراحل باسل، فقد حرص على عسكرته ودفعه لارتقاء سلم الرتب بسرعة.

وبالفعل، فقد قطع العقيد طبيب العيون مرحلة كبيرة في السنوات الخمس الماضية لاقناع المؤسسة العسكرية باهليته القيادية، وتمكن من تشكيل ركيزة اساسية له بين الضباط ذوي الرتب الصغيرة والمتوسطة.

لقد تمت بالتدريج الصامت وبالحسنى ازاحة عدد من كبار الضباط النافذين، إما بحكم العمر، وإما لتشكيلهم مراكز قوة في الجيش باتت خطرا على انضباطه، وإما لمعارضتهم انفتاح بشار، واما لتورطهم السافر في التدخل في عمل المؤسسات المدنية، وتحالفهم مع شرائح الاستغلال فيها وخارجها.

مع ذلك كله، احسب ان الرئيس الاسد يحتاج الى سنين قليلة اخرى لتامين ولاء المؤسسة العسكرية التام لنجله بشار، بحيث يصبح في نظر القدامى والجدد مؤهلا للحكم بكفاءته ورؤاه وليس لكونه فحسب الابن الاثير عند ابيه. وهكذا، فاستمرار الرئيس (70 سنة) في منصبه ما يزال هو الضمانة الاقوى لنفوذ نجله وقوته في الحاضر، ولتوفير الشرعية التامة له في المستقبل.

اختراق المؤسسة الحزبية اسهل بكثير من اختراق المؤسسة العسكرية، ذلك انها لم تعد تشكل منذ امد الركيزة الاساسية للنظام، انما ظلت الواجهة السياسية التي تضفي عليه الطابع المدني.

لقد سقط قطاع كبير من القيادات والاطر الحالية في الانتخابات الحزبية الاخيرة. وامامنا الترقب والانتظار عدة ايام اخرى ريثما ينعقد المؤتمر القطري التاسع للحزب لنعرف ما اذا كانت القواعد الشابة المؤيدة لبشار قد استطاعت الاتيان بوجوه جديدة، وقادرة على انتخاب قيادة قطرية ولجنة مركزية مواكبتين لضرورات التغيير والتطوير.

لقد كانت لبشار وجناحه حصة تقرب من 40 بالمائة في الوزارة السورية الجديدة، واحسب ان النسبة ستكون اكبر في قيادة الحزب المقبلة. غير ان الجديد ليس بقادر تماما على الغاء القديم. واقول انه ليس كل القديم الذي غاب ويغيب فاسدا او غير نافع.

وهكذا ايضا، فالمؤسسة الحزبية المقبلة ستكون ائتلافا عريضا بين الوجوه القديمة التي لم يمسها الترهل والفساد والوجوه الجديدة الطامحة لتحديث سورية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية